

المصطلح اللساني في كتاب "معاني القرآن" للأخفش الأوسط (ت ٢١٥ هـ) دراسة في البنية والمفهوم

The linguistic term in the book "The Meanings of the Qur'an" by Al-Akhfash Al-Awsat -A study in structure and concept-

نعيمة رجم¹

طالبة دكتوراه جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة –

مخبر الدراسات اللغوية والقرآنية

n.redjem@univ-emir.dz

أ.د زين الدين بن موسى

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة –

Zineeddine.benmoussa@gmail

تاريخ الوصول 2023/11/09 القبول 2024/01/06 النشر على الخط 2024/03/15

Received 09/11/2023 Accepted 06/01/2024 Published online 15/03/2024

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على المصطلحات اللسانية الواردة في كتاب "معاني القرآن" لمؤلفه الأخفش الأوسط؛ وذلك بالنظر إلى كيفية توظيفه ومعالجته للمصطلح اللساني من خلال تتبع نماذج من هذه المصطلحات الصوتية، والصرفية، والنحوية، والبلاغية، وتناولها بالدراسة والتحليل من الناحيتين البنيوية والمفهومية، مع تبيان مدى استثماره لمصطلحات سابقه والمفاضلة بينها، أو تفرده بمصطلحاته الخاصة. وقد أسفرت النتائج عن ابتداء الأخفش عديد المصطلحات الصرفية والنحوية الخاصة به والتي خالف فيها اللغويين المتقدمين، مع تبني مصطلحات هؤلاء فيما يخص المستويين الصوتي والبلاغي.

الكلمات المفتاحية: المصطلح اللساني، البنية، المفهوم، معاني القرآن.

Abstract:

This study aims to identify the linguistic terms contained in the book "The Meanings of the Qur'an" by Al-Akhfash Al-Awsat. Indeed, this study is achieved in view of how the book employs and deals with the linguistic term by tracing models of these phonetic, morphological, grammatical and rhetorical terms. Moreover, it deals with these terms with study and analysis from both the structural and conceptual sides, with an indication of the extent of its investment of the terms of its predecessors and the comparison between them, or its uniqueness with its own terms. and the study resulted that Al-Akhfash invented many of his own morphological and grammatical terms in which he differed from the advanced linguists, while adopting their terminology with regard to the phonetic and rhetorical levels.

Keywords: The linguistic term, Structur, Concept, The Meanings of the Qur'an.

1. مقدمة:

إنَّ عمليّة فهم أيّ علم من العلوم ترتكز أساساً على فهم المصطلحات الحاملة لأفكاره وتصوّراته؛ فهي تُمثّل الدّعميّة الرئيسيّة الّتي يتأسّس عليها العلم وتتحدّد بموجبها معالمه وتتّضح، ومن هذا المنطلق اهتمّت اللّسانيّات بالمصطلح وأولته عنايةً فائقةً؛ حيث تنوّعت فيه الأبحاث والدّراسات وانعقدت حوله عديد النّدوات والمؤتمرات، ولعلّ أبرزها تلك الّتي وقفت على التّراث المصطلحيّ العربيّ فأشادت به، وأشارت إلى ضرورة الرّجوع إليه وإعادة استقرائه قصد الإفادة منه في تسهيل عمليّة بناء المعارف والعلوم وتشبيدها. من هنا انتقينا كتاب "معاني القرآن" الّذي يتضمّن، بدوره، ثروةً لغويّةً ومصطلحيّةً؛ أغنت الخزانة التّراثيّة العربيّة بمختلف المسائل والمصطلحات اللّسانيّة، وارتأينا الوقوف على هذه المصطلحات وتناولها بالدّراسة والتّحليل من حيث بناؤها ومدى استقرارها وشيوعها، أو اضطرابها، وكذا تتبّع مفاهيمها، وذلك بغية تأصيلها في التّراث اللّغويّ العربيّ وإبراز قيمتها في الدّرس اللّغويّ الحديث. ومن هنا كانت الإشكاليّة المطروحة: ما هي الخصائص البنيويّة والمفهوميّة المميّزة للمصطلحات اللّسانيّة الواردة في كتاب معاني القرآن؟ وإلى أيّ مدى أسهمت في تشكّل المصطلح اللّسانيّ العربيّ قديماً وحديثاً؟ وقبل الإجابة عن هذين التّساؤلين الجوهريّين حرّين بنا أولاً التعريف بهذه المدونة التّراثيّة، مع توضيح مفهوم المصطلح اللّسانيّ وأنماطه في كتاب "معاني القرآن".

2. كتاب معاني القرآن:

يُعدّ من أصول لغة العرب، ألفه أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)¹ عُني بكافة المستويات اللّغويّة «ابتداءً بتفسير دلالات الألفاظ ومعانيها مروراً بأصواتها ومخارجها ومن ثمّ أوزانها واشتقاقاتها، وأخيراً تراكيب الجملة ودلالاتها البلاغيّة»². والمقصود هنا بـ "معاني القرآن" إنّما هو تفسير القرآن من خلال إعراب الآيات، ومنه فإنّ هذا الكتاب وغيره ممّا حمل العنوان ذاته ككتّابي: "معاني القرآن" للفراء (ت ٢٠٧هـ)، و"معاني القرآن وإعرابه" لأبي إسحاق الرّجاج (ت ٣١١هـ) إنّما هي بمثابة "أصول النّحو في القرآن"³.

أمّا عن تحقيقات الكتاب فكان أولها تحقيق "فائز فارس" سنة (1979م) الصّادر عن دار البشير والأمل بالكويت، يليه تحقيق "محمد أمين الورد" طبعة دار عالم الكتب للنّشر والتّوزيع بالرياض سنة (1985م)؛ وهو في أصله عبارة عن أطروحة دكتوراه، وآخر هذه التّحقيقات لـ "هدى محمود قراعة" سنة (1990م) طبعة مكتبة الخانجي، قراءة وتصحيح الأستاذ "محمود شاكّر"؛ وهو التّحقيق الّذي اعتمدناه في دراستنا.

¹ - ينظر: السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة- مصر، ط 1، 1984هـ- 1964م، ج 1، ص 590-591.

² - غادة غازي عبد المجيد وسلام علي المهدي، المصطلح الصّربي في كتاب (معاني القرآن) للأخفش الأوسط (ت 215هـ)، مجلة الفتح، جامعة ديالى، العراق، ع 30، 2007، د ص.

³ - يُنظر: الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، كتاب معاني القرآن، تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة- مصر، ط 1، 1411هـ- 1990م، ج 1، ص 25 (مقدّمة المحقّقة).

3. مفهوم المصطلح اللساني:

ترتبط تسمية "المصطلح اللساني" بذلك الحقل العلمي الحديث الذي يُعرف باللسانيات؛ حيث يُعبّر بها عن كلّ «رمز لغوي (مفرد أو مركّب) أحادي الدلالة، منزاح نسبياً عن دلالاته المعجميّة الأولى يعبر عن مفهوم لساني محدّد وواضح متّفق عليه بين أهل هذا الحقل المعرفي، أو يرجح منه ذلك»¹. ومنه يُمكن لنا صياغة تعريف بسيط، آخر، للمصطلح اللساني على أنّه ذلك المصطلح الذي اتّفق العلماء على توظيفه للدلالة على مفهوم من المفاهيم اللسانية المعروفة أو المستحدثة.

4. أنماط المصطلح اللساني في كتاب معاني القرآن:

إنّ المتنبّع للمصطلحات اللسانية (الصوتيّة، والصرفيّة، والنحويّة، والبلاغيّة) الواردة في كتاب "معاني القرآن" لمؤلفه الأخفش الأوسط يلاحظ أنّها جاءت متنوّعة من حيثُ بنيتها، وقد قسّمناها كما هو شائع في الدرس المصطلحيّ المعاصر إلى ثلاثة أقسام هي: المصطلحات البسيطة، والمصطلحات المركّبة، والمصطلحات المعقّدة، وبيان ذلك كالآتي:

1.4. المصطلحات البسيطة: وهي تلك المشكّلة من مفردة واحدة دالّة ومُتملّة «كلّ مصطلح استقل لفظه بمفرده من غير حاجة إلى قرينة سابقة أو لاحقة له، ليكتمل مفهومه، باستثناء سابقة "أل التعريف"

التي تسبق المصطلح وتتصل به كجزء منه»²، وهي كثيرة في معاني القرآن منها: (المجازة)³، و(الإضمار)⁴، و(التّصغير)⁵، إلخ.

2.4. المصطلحات المركّبة: وتأتي في مقابل المصطلحات البسيطة؛ فهي عبارة عن وحدات لغويّة تتألّف كلّ واحدة منها من عنصرين اثنين تربط بينهما علاقة خاصّة، وغياب هذه العلاقة الجامعة بينهما لا يمنع إمكانيّة استقلال كلّ واحد منهما عن الآخر وتأدية عمله بطرق مختلفة ضمن سياقات مغايرة⁶، ومن أمثلتها في هذا الكتاب نذكر: (حروف اللّين)⁷، و(ياء الإضافة)⁸، و(بنات الياء)⁹، إلخ.

¹ - أحمد الهادي رشاش، إشكالية المصطلح اللساني في اللغة العربية، مجلة كلية اللغات، جامعة طرابلس، ليبيا، ع17، مارس2018م، ص86.

² - رياض عثمان، تشكّل المصطلح النحوي بين اللغة والخطاب دراسة صناعة المداخل الاصطلاحية في تفكير الزمخشري، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط1، 2011م، ص68.

³ - يُنظر: الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج1، ص37.

⁴ - المصدر نفسه، ج1، ص83.

⁵ - المصدر نفسه، ج1، ص5.

⁶ - ينظر: آلاء يوسف عبد الرحمن القرقر، المصطلح الصّريّ في كتاب سيبويه دراسة تحليلية في البنية والمفهوم، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في اللّغة والنحو، إشراف: أمجد عيسى طلافحة، قسم اللغة العربيّة وآدابها - جامعة اليرموك، الأردن، 2010م، ص26.

⁷ - يُنظر: الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج1، ص160.

⁸ - المصدر نفسه، ج2، ص407.

⁹ - المصدر نفسه، ج1، ص106.

3.4. المصطلحات المعقدة: وتندرج ضمنها المصطلحات التي تتألف من ثلاث مفردات فما فوق؛ فقد تأتي في شكل جمل كما قد ترد في شكل عبارات طويلة شارحة¹ من بينها: (الأسماء التي ليست بمتكّنة تحرك أواخرها حركةً واحدةً لا تزول علّتها)²، و(الألفات اللواتي ليس معهنّ اللام في أوّل اسم)³، و(المثال لا يكون إلّا جميعاً)⁴... إلخ

5. نماذج من المصطلحات اللسانية الواردة في كتاب معاني القرآن:

1.5. المصطلحات الصوتية: وهي كثيرة ومتعددة في "معاني القرآن"، لم يخرج الأخفش في أغلبها عن الكتاب لسيبويه؛ حيث جاء معظمها في صيغة مصطلحات بسيطة أحادية الدلالة، من أمثلتها:

- الإشمام:

من المصطلحات الصوتية البسيطة الشائعة في الموروث اللساني العربي يُقصد به «الإشارة إلى الحركة من غير تصويت. وقيل أن تجعل شفتيك على صورتها، وكلاهما واحد، ويختص بالضم سواء كانت حركة إعراب أو بناء إذا كانت لازمة»⁵. وهو المعنى الذي أشار إليه الأخفش في معانيه كما اصطلح عليه أيضًا بالمصطلح ذاته وهو ما يتجلى في قوله: «وإذا وقفت على ﴿يَتَفَيَّؤُا﴾ [٤٨]»⁶ قلت: كما تقول: بالعين "تتفيع" جزئاً؛ وإن شئت أشتمتها الرفع ورؤمتها، كما تفعل ذلك في: "هذا حجر"⁷. ومنه فقد جاء هذا المصطلح واضحاً في دلالة على مفهومه؛ إذ إنه لا يدلّ إلّا على مفهوم واحد كما لا نجد له في المعاني إلّا تسميةً واحدةً وهي (الإشمام) وهو من المصطلحات المستقرّة التي ما تزال مستخدمةً حتى الآن.

- الإمالة:

وهي في الاصطلاح الصوتي «أن ينحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيراً»⁸. ورد هذا المصطلح في معاني الأخفش بهذا المعنى وبالتسمية ذاتها ويظهر ذلك في قوله: «فإذا كانت رابعة فصاعداً؛ أمالوا، وكانت الإمالة هي الوجه، لأنّها حينئذ قد انقلبت إلى "الياء". ألا ترى أنك تقول: "غزوت" و"أغزيت"، ومثل ذلك: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ [سورة الشمس: ٤]، ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [سورة الأعلى: ١٤]، ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى﴾ [سورة الليل: ٢] أمالها لأنّها رابعة. و﴿تَجَلَّى﴾: "فعلت" منها "الواو"، لأنّها من "جلوت"، و"زكا" من "زكوت يزكو"، ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ من "الغشاوة". وقد يُميل ما كان منه "بالواو" نحو: ﴿تَلَاهَا﴾⁹

¹ - ينظر: آلاء يوسف عبد الرحمن القرقر، المصطلح الصري في كتاب سيبويه دراسة تحليلية في البنية والمفهوم، ص 41.

² - يُنظر: الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج 1، ص 9.

³ - المصدر نفسه، ج 1، ص 5.

⁴ - المصدر نفسه، ج 1، ص 296.

⁵ - التهانوي، محمد علي بن علي بن محمد، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت - لبنان، ط 1، 1996م، مادة (ش م م).

⁶ - قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالْشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاخِرُونَ﴾ [النحل: ٤٨].

⁷ - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج 2، ص 416.

⁸ - التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مادة (م ي ل).

⁹ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَّهَا﴾ [الشمس: ٢].

و﴿طَحَاهَا﴾¹ ناسٌ كثيرٌ؛ لأنَّ "الواو" تنقلب إلى "الياء" كثيراً مثل قولهم في: "حورٌ: حير"، وفي: "مشوب: مشيبٌ"². ومنه فإنَّ مصطلح (الإمالة) واضحٌ في دلالته على مفهومه وهو مصطلحٌ بسيطٌ من المصطلحات المستقرّة الشائعة الاستخدام قديماً وحديثاً.

- الترخيم:

يُشير مصطلح (الترخيم) إلى «حذف أواخر الأسماء المفردة تخفيفاً»³، اشتهر مع سيبويه الذي

أفرد له باباً في كتابه بعنوان: "هذا باب الترخيم"⁴ كما ورد في معاني الأخفش تسميةً ومفهوماً، ومن ذلك قوله: «فلذلك قال: "يا أبت أقبل". وجعل "التاء" للتأنيث، ويجوز الترخيم؛ لأنّه يجوز أن تدعو ما تضيف إلى نفسك في المعنى مضموماً؛ نحو قول العرب: "يا رب اغفر لي" وتقف في القرآن: "يأبت"؛ في الكتاب، وقد يقف بعض العرب على "هاء" التأنيث»⁵. وهو مصطلحٌ بسيطٌ شائعٌ ومستقرٌ؛ حيث امتدَّ استخدامه إلى الدرس اللغوي المعاصر.

- الحروف الستة:

مصطلحٌ مركَّبٌ عُرف مع سيبويه الذي أفرد له باباً في الكتاب تحت عنوان "هذا باب الحروف الستة إذا كان واحد منها عيناً وكانت الفاء قبلها مفتوحة وكان فعلاً"⁶ وهو مرادفٌ لمصطلح (الحروف الحلقية) عند غيره من علماء العربية القدماء⁷، يُحيل إلى الحروف التي كان مبدؤها من الحلق⁸ وتأتي في مقابل الحروف التي ليست من الحلق وهي ما يُصطلح عليه بـ (الصُتَم) ⁹، وهذا ما أوضحه الأخفش بقوله: «وقد قالوا في "النقد": "النقد"؛ فكسروا "النون" لكسرة "القاف". وهذا ليس من كلامهم إلّا فيما كان ثانيه أحد الحروف الستة نحو: "شعير". والحروف الستة: "الحاء"، و"الخاء"، و"العين"، و"الغين"، و"الهمزة" و"الهاء"¹⁰. وفي نصّه هذا إشارة واضحة إلى (الحروف الحلقية)، وقد جاء هذا المصطلح في المعاني أحاديّ التسمية والمفهوم حيث لا نجد له إلّا مفهوماً واحداً كما لا نجد لمفهومه إلّا تسميةً واحدةً وهي (الحروف الستة).

¹ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا﴾ [الشمس: ٦].

² - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج1، ص41-42.

³ - سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1402هـ - 1982م، ج2، ص239.

⁴ - يُنظر: سيبويه، الكتاب، ج2، ص239.

⁵ - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج2، ص438.

⁶ - يُنظر: سيبويه، الكتاب، ج4، ص107.

⁷ - يُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد - العراق، 1980م، ج1، ص58. والعوتي الصحاري: سلمة بن مسلم، كتاب الإبانة في اللغة العربية، تح: عبد الكريم خليفة وآخرون، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط1، 1420هـ - 1999م، ج1، ص83. والاسترابادي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، 1402هـ - 1982م، ج3، ص272.

⁸ - يُنظر: الفراهيدي، كتاب العين، ج1، ص58.

⁹ - يُنظر: العوتي الصحاري، كتاب الإبانة في اللغة العربية، ج1، ص83.

¹⁰ - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج1، ص4-5.

- المخرج:

يُحيل هذا المصطلح البسيط إلى «الموضع الذي ينشأ منه الحرف»¹، اشتهر مع سيبويه في كتابه؛ حيث استقرّ على تسمية مواضع خروج الصّوت بـ (مخارج الحروف)²، كما ورد في كتاب معاني القرآن تسميةً ومفهوماً وهو ما يظهر جلياً في قول الأخفش: «وقال: ﴿وَأَذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [٤٥] وإنما هي افتعل من ذكرت فأصلها اذتكر، ولكن اجتماعاً في كلمة واحدة ومخرجاهما متقاربان»³. وهو بهذه التسمية وبهذا المفهوم غير بعيد عما جاء به المحدثون الذين عدّوه «مكان النطق»⁴، أمّا بالنسبة لباقي اللغويين العرب القدماء؛ فقد وظّفوا إلى جانب هذا المصطلح عدّة مصطلحات أخرى كمحاولة منهم للدلالة على مخارج الحروف ومن ذلك ما أشار إليه عبد القادر مرعي بني بكر في مؤلفه: المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر⁵؛ إذ أطلق الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) على مخارج الأصوات تسميتين اثنتين هما: (المدارج والمواضع)⁶، في حين آثر ابن دُرَيْد (ت ٣٢١هـ) تسميتها بـ (مجاري الحروف)⁷ أمّا ابن جنيّ (ت ٣٩٢هـ) فقد اصطاح عليها بمصطلح (المقاطع)⁸، وهي (المحابس)⁹ عند ابن سينا (ت ٤٦٨هـ)، و (المخارج)¹⁰ عند ابن منظور (ت ٧١١هـ). ومنه فإنّ الأخفش هنا يختلف في تسميته لهذا المفهوم عن الفراهيدي ويتفق مع تلميذه سيبويه، كما يختلف مع باقي اللغويين الذين جاؤوا من بعده باستثناء ابن منظور الذي وافق كلاً من سيبويه والأخفش في توظيفهما لمصطلح (المخرج)، فجاء هذا المصطلح في معانيه مستقراً؛ حيث إنّه لا يدلّ إلا على مفهوم واحد كما لا نجد له إلا تسميةً واحدةً وهي (المخرج) هذه التسمية التي استقرت وامتدت فاعليتها إلى النظريّة اللسانية المعاصرة.

2.5. المصطلحات الصرفية: وركزنا فيها على المصطلحات التي ابتدعها الأخفش وخالف فيها جمهور النحويين، ومن أمثلتها:

- ¹ - أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، التحديد في الإتيان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط1، 1421هـ - 2000م، ص102.
- ² - يُنظر: سيبويه، الكتاب، ج4، ص434.
- ³ - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج1، ص473.
- ⁴ - يُنظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الرباط - المغرب، ط2، 1394هـ - 1974م، ص84.
- ⁵ - يُنظر: عبد القادر مرعي بني بكر، المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد - الأردن، ط1، 2016م، ص55.
- ⁶ - يُنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، مادة (خ ر ج).
- ⁷ - يُنظر: ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسين الأزدي، جمهرة اللغة، مؤسسة الحلي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، مادة (خ ر ج).
- ⁸ - يُنظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هندراوي، دار القلم، دمشق - سوريا، ط1، 1985م، ج1، ص6.
- ⁹ - يُنظر: ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسن الطيان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق - سوريا، ط1، 1983م، ص60.
- ¹⁰ - يُنظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تح: لجنة التحقيق بدار صادر، دار صادر، بيروت - لبنان، ط3، 1414هـ، مادة (خ ر ج).

- **جماعة المذكر:** يُشير هذا المصطلح المركب إلى «ما لحق آخر مفردة واو مضموم ما قبلها أو ياء مكسور ما قبلها ونون مفتوحة نحو مسلمون ومسلمين جمع مسلم»¹. وهو بهذا المعنى مرادف لمصطلح (جمع المذكر السالم) عند جمهور النحاة²، فكان واحداً من المصطلحات التي تفرّد بها الأخفش عن غيره من علماء العربية؛ حيث ورد في معانيه بالمفهوم ذاته مع اختلاف في التسمية وهو ما يُمكن ملاحظته فيما نصّه: «فأما فعل الجميع فقد يُذكر ويُؤنث؛ لأنّ تأنيث الجميع ليس بتأنيث للفصل؛ ألا ترى أنّك تؤنث جماعة المذكر فتقول: "هي الرجال"، و"هي القوم" وتُسمّى رجلاً بـ "بغال" فتصرفه؛ لأنّ هذا تأنيث مثل التذكير، وليس بفصل»³. كما جاء هذا المصطلح واضحاً في دلالاته على مفهومه فهو لا يُعبّر إلّا على مفهوم واحد ولا نجده في معاني الأخفش إلّا بتسمية واحدة وهي (جماعة المذكر)، ولم يكن من المصطلحات الشائعة؛ إذ لم يشتهر في أذهان غيره من النحويين.

- **الجمع الذي ليس له واحد:**

يُحيل هذا المصطلح إلى «ما لا يكون له مفرد من لفظه ويكون فيه كثرة كالقوم والرهط فهو اسم بمعنى الجمع»⁴، وهو من المصطلحات المعقّدة التي تفرّد بها الأخفش عن نظرائه من اللغويين العرب القدماء⁵ والذين اصطَلَحوا عليه بمصطلح (اسم الجمع). يظهر هذا المصطلح جلياً في معاني الأخفش من خلال قوله: «وقال: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾»⁶. فبعضهم يزعم أنّ واحده "أسطورة"، وبعضهم "أسطورة". ولا أراه إلّا من الجمع الذي ليس له واحد؛ نحو: "عبايد"، و"مذاكير"، و﴿أبَابِيل﴾. [سورة الفيل: ٣]»⁷. فهو يرى أنّه ليس لهذه الجموع مفرد من لفظها وفي هذا إشارة واضحة إلى مفهوم (اسم الجمع)، كما ذكر لهذا المصطلح أربعة مرادفات أخرى دلّت بوضوح على هذا المفهوم جاءت في مواضع متفرقة من الكتاب وهي: (جمع وليس لهم واحد من لفظهم)⁸، (جمع على غير واحد)⁹، و(جَمَاعٌ على غير واحد)¹⁰، و(الجميع الذي لا واحد له)¹¹، وهو ما يُمكن توضيحه في الخطاطة الآتية:

¹ - التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مادة (ج م ع).

² - يُنظر: ابن يعيش، موفق الدين بن علي بن يعيش التحوي، شرح المفصل، تح: مشيخة الأزهر، إدارة الطبعة المنيرية، مصر، ج 5، ص 6. وابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت - لبنان، ج 1، ص 51.

³ - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج 1، ص 95.

⁴ - الكفوي: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط 2، 1419هـ - 1998م، مادة (ج م ع).

- ابن يعيش، شرح المفصل، ج 5، ص 17. وابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج 4، ص 246.

⁶ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ ءَايَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنعام: ٢٥].

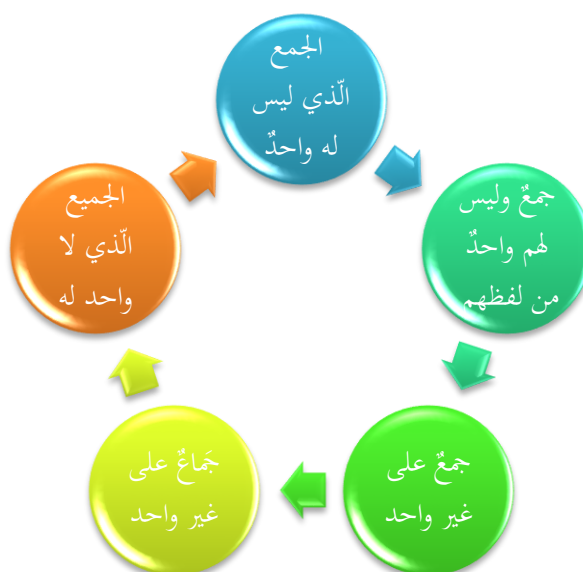
⁷ - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج 1، ص 296.

⁸ - المصدر نفسه، ج 1، ص 466.

⁹ - المصدر نفسه، ج 1، ص 315.

¹⁰ - المصدر نفسه، ج 1، ص 315.

¹¹ - المصدر نفسه، ج 2، ص 582.



خطاطة رقم (01): تمثل التعدد المصطلحي لمفهوم "اسم الجمع" في كتاب "معاني القرآن".

وبالنظر إلى الخطاطة السابقة فإن هذا المصطلح لا يتسم بأحادية العلاقة بين المصطلح والمفهوم وفي هذا دليل واضح على اضطراب هذا المصطلح في معاني القرآن وعدم استقراره.

– الجمع على أدنى العدد:

وهو أحد المصطلحات التي تميز بها الأخفش عن غيره من علماء العربية قديماً وحديثاً، يقصد به الجمع الذي «يطلق على عشرة فما دونها من غير قرينة، وعلى ما فوقها بقرينة»¹، فكان بهذا المعنى مرادفاً لمصطلح (جمع القلة) في عرف النحويين²؛ وقد ورد في معاني الأخفش بالدلالة ذاتها وهو ما يمكن ملاحظته في قوله: «وقال: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمَ﴾»³ فجمع على أدنى العدد؛ لأن معناها: / الأربعة، وذلك أن "الأشهر" إما تكون إذا ذكرت معها "الثلاثة" إلى "العشرة"، فإذا لم تذكر "الثلاثة" إلى العشرة؛ فهو "الشهور"⁴. والملاحظ على هذا المصطلح أنه جاء واضحاً في دلالاته على مفهومه فهو لا يدل إلا على مفهوم واحد وفي المقابل لم يكن لمفهومه إلا تسمية واحدة وهي (الجمع على أدنى العدد)، كما جاء في صيغة مصطلح معقد لم يشتهر في أذهان النحويين وبذلك لم يكتب له الاستقرار.

– الفعل على يفعل هو وتفعل أنت وأفعل أنا ونفعل نحن:

من مصطلحات الأخفش التي ميزته عن غيره من علماء اللغة، يُحيل إلى «ما تعاقب في صدره الهمزة والنون والياء والتاء»⁵. وهو ما يُقابل في عرف النحويين¹ مصطلح (الفعل المضارع المرفوع)، ذكره الأخفش بهذه الصيغة في عدة مواضع من الكتاب ومن

¹ – الجرجاني، علي بن محمد بن علي، كتاب التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، بيروت – لبنان، مادة (ج م ع).

– يُنظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج 5، ص 15.

³ – قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُوا لَهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

⁴ – الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج 1، ص 353.

⁵ – الجرجاني، كتاب التعريفات، مادة (ف ع ل).

ذلك قوله: «رفع هذا، لأنه كل ما كان من الفعل على "يفعل هو" و "تفعل أنت" و "أفعل أنا"، و "نفعل نحن"؛ فهو أبداً مرفوع»². فالأخفش هنا ومن خلال أبنيته المذكورة يُشير إلى أحرف المضارعة الأربعة وهي: "الياء"، و"التاء"، و"الألف"، و"النون"، وفي هذا دلالة واضحة على إطلاقه تسمية (الفعل على يفعل هو وتفعل أنت وأفعل أنا ونفعل نحن) كمقابل لمفهوم (الفعل المضارع المرفوع)، وبذلك جاء هذا المصطلح واضحاً في دلالاته على مفهومه فهو لا يدل إلا على مفهوم واحد كما لم يكن لمفهومه في المعاني إلا تسمية واحدة وهي (الفعل على يفعل هو وتفعل أنت وأفعل أنا ونفعل نحن)، وهو ليس بمصطلح مستقر شائع وإنما اقتصر ذكره على كتاب معاني القرآن للأخفش ولم يرد في مؤلفات غيره من المتقدمين.

- المصدر:

وهو أحد المصطلحات البسيطة الواردة في الكتاب، يُطلق على «اسم الحدث الجاري على الفعل أي اسم يدل على الحدث مطابقةً كالضرب أو تضمناً كالجلسة والجلسة»³، أشار إليه الأخفش تسميةً ومفهوماً في مواضع عدة من ذلك قوله: «وقال: ﴿شَيْئاً﴾ [٤] لأنه مصدر في المعنى، كأنه حين قال: ﴿اشتعل﴾ [٤] قال: "شاب"؛ فقال: ﴿شَيْئاً﴾ على المصدر، وليس هو مثل: "تفقت شحماً"، و"امتألت ماء"؛ لأن ذلك ليس بمصدر»⁵. وبناءً عليه فإن مصطلح (المصدر) في هذا الموضع من الكتاب واضح في دلالاته على مفهومه وهو ما لا نجد في بعض المواضع الأخرى؛ ذلك أن المتبّع لهذا المصطلح في معاني الأخفش يلاحظ أنه جاء متداخلاً مع عدة مصطلحات أخرى؛ حيث عبّر بتسمية (المصدر) عن مفاهيم أخرى غيره، من ذلك إطلاقه هذه التسمية يُريد بها (اسم المصدر) وهو ما جاء في مثل قوله: «وقال: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً﴾ [١٧] فجعل "النبت" المصدر، والمصدر: "الإنبات" لأن هذا يدل على المعنى»⁷. فـ "النبت" هنا من خلال قوله ليس بمصدر وإنما جاء في صيغة (اسم المصدر) لأن المصدر من الفعل "أنبت" هو "الإنبات" لا "النبت"؛ وذلك لما يتوقّر فيه من شروط (المصدر) كأن يكون دالاً على الحدث متضمناً جميع حروف فعله، هذا الشرط الأخير الذي لا يتوقّر في مفردة "النبت".

وفي موضع آخر يُريد بها (اسم الزمان) كما يظهر من خلال قوله: «قال: ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ [٥] أي هي سلامٌ، يُريد: مسلمة. وقال ﴿حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ [٥]: يُريد الطلوع، والمصدر هنا لا يُبنى إلا على "مفعول"»⁹. فكلمة "مطلع" في هذا الموضع جاءت في صيغة (اسم للزمان) لا في صيغة (مصدر ميمي)؛ إذ إنّ في الآية الكريمة ما يدل بوضوح على الزمن وهي مفردة "الفجر". وكذا

¹ - يُنظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج 7، ص 12.

² - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج 1، ص 133.

³ - التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مادة (ص د ر).

⁴ - قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَايِكَ رَبِّ شَقِيحًا﴾ [مریم: ٤].

⁵ - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج 2، ص 437.

⁶ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً﴾ [نوح: ١٧].

⁷ - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج 2، ص 550.

⁸ - قَالَ تَعَالَى: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥].

⁹ - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج 2، ص 581.

إطلاقه تسمية (المصدر) كمرادف لمصطلح (المشتق) وهو ما يظهر في قوله: «وقال: ﴿أَيْنَ الْمَفْرُ﴾»¹ [١٠] أي أين الفرار... لأن كل مصدر يُبنى هذا البناء؛ فإنما يُجعل "مفعلاً"، وإذا أراد المكان / قال: "المفر"»². ويمكن لنا توضيح هذا التداخل المصطلحي في الخطاطة الآتية:



خطاطة رقم (02): تُمثل التداخل المصطلحي لمصطلح "المصدر" مع بعض المصطلحات الأخرى في كتاب "معاني القرآن".
وبالتّظر إلى الخطاطة السابقة يمكننا القول بأنّ مصطلح (المصدر) في معاني الأخفش لا يتّسم بأحادية العلاقة بين التسمية والمفهوم فهو مصطلح مضطرب وغير مستقر؛ إذ يُطلق تسمية (المصدر) تارةً للدلالة على مفهوم المصدر كما هو شائع عند غيره من علماء العربية وتارةً أخرى يُطلقها للدلالة عن مفاهيم مختلفة عنه.

3.5. المصطلحات التحوّية: وهي أكثر المصطلحات اللسانية في الكتاب من حيث عددها، وجاء التركيز فيها كذلك على المصطلحات التي ميّزت الأخفش عن غيره من اللغويين العرب القدماء ومنها:

- الاسم الخاص:

مصطلح مركّب ابتدعه الأخفش للدلالة على «ما وُضِعَ لشيء بعينه غير متناول غيره بوضع واحد»³. هذا المفهوم الذي اصطلح جمهور النحاة⁴ على تسميته بـ (العلم). ورد ذكره في مواضع متفرقة من الكتاب ومن ذلك ما ذكره المؤلف في باب "أهل وآل": «وأما "آل" فإنّها تحسن إذا أضيفت إلى اسم خاصّ نحو: "أتيت آل زيد"، و"أهل مكّة"، و"آل مكّة"، و"أهل المدينة"،

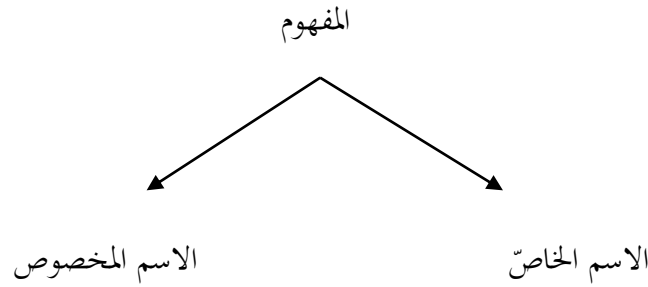
¹ - قَالَ تَعَالَى: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ﴾ [القيامة: ١٠].

² - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج2، ص557.

³ - التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مادة (ع ل م).

⁴ - يُنظر: ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجبالي الأندلسي، شرح التسهيل، تح: عبد الرحمن السيّد ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ط1، 1410هـ - 1990م، ج1، ص180. وابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج1، ص122. والمرادي، أبو محمد الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تح: علي عبد الرحمن سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، ط1، 1422هـ - 2001م، ج1، ص390.

و"آل المدينة. ولو قلت: أتيت آل الرجل وآل المرأة، لم يحسن"¹، وفي هذا إشارة صريحة إلى معنى (العلم). كما ذكر له مرادفًا آخر قريبًا منه وهو (الاسم المخصوص) ويمكن ملاحظته من خلال قوله: «وقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [٧]²... والبدل في "غير" أجود من الصفة؛ لأنّ "الذي" و"الذين" لا تفارقهما "الألف واللام"، وهما أشبه بالاسم المخصوص من "الرجل" وما أشبهه"³. ويمكن توضيح العلاقة بين هذا المفهوم والتسميتين المعبرتين عنه بالخطاطة الآتية:



خطاطة رقم (03): تمثّل التسميتين اللتين تقابلان مفهوم (العلم) في معاني القرآن. وبالنظر إلى الخطاطة السابقة يكون مصطلح (الاسم الخاص) مصطلحًا أحاديّ المفهوم ثنائيّ التسمية لم يكتب له الاستقرار؛ إذ إنه لم يُعرف مع غير الأخص، خلافًا لمصطلح (العلم) الذي استقرّ وكان أدلّ منه على المفهوم.

- الاسم المستأنف:

مصطلح مركّب ذكره الأخص في موضع واحد من الكتاب، يُحيل إلى «كلّ اسم ابتدأته وعزّيته من العوامل اللفظية»⁴. وهو بهذا المعنى كما هو واضح مرادفٌ لمصطلح (المبتدأ) الذي جاء عنده في غير هذا الموضع وعند غيره من المتقدّمين كسيبويه⁵؛ إذ وظّف الأخص كلا المصطلحين للدلالة على المفهوم ذاته فأشار إلى مصطلح (المبتدأ) في عديد المواضع من ذلك قوله: «قال: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ

آياته﴾⁶ فـ "الكتاب" خبر المبتدأ، أخبر أنّ التنزيل: ﴿كِتَابٌ﴾⁷. ويقول في موضع آخر موظفًا مصطلح

¹ - الأخص، كتاب معاني القرآن، ج 1، ص 98.

² - قال تعالى: ﴿صَرَطَ الَّذِينَ أَعْمَتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧].

³ - الأخص، كتاب معاني القرآن، ج 1، ص 17.

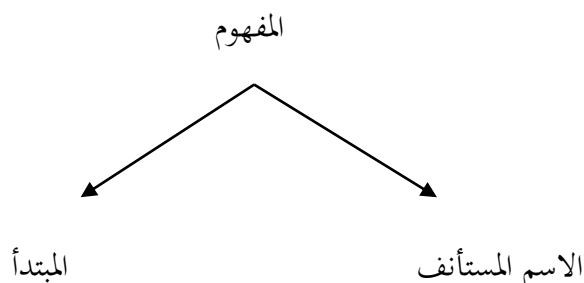
⁴ - الكفوي: الكليات، مادة (ب د أ).

⁵ - ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 2، ص 126.

⁶ - قال تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ وَفُزِّنَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣].

⁷ - الأخص، كتاب معاني القرآن، ج 1، ص 437.

(الاسم المستأنف): «وقال: ﴿مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾¹ فأدغم، ورفع بقوله: "خير"؛ لأنَّ "ما مكَّنِي" اسم مستأنف»². فالأخفش هنا يُطلق صراحةً تسمية (الاسم المستأنف) كمقابل لمفهوم (المبتدأ) ويجعل منهما مصطلحين مترادفين. ويمكن توضيح العلاقة بين مفهوم (المبتدأ) وبين التسميتين المعبرتين عنه في معاني الأخفش بالخطاطة الآتية:



خطاطة رقم (4): تُمثّل التسميتين المقابلتين لمفهوم (المبتدأ) في معاني القرآن. وبالنظر إلى الخطاطة السابقة فإنَّ مصطلح (الاسم المستأنف) مصطلح أحادي المفهوم ثنائي التسمية، وهو بذلك مصطلح غير مستقر خلافاً لمصطلح (المبتدأ) الذي اشتهر مع غيره من النحاة.

- تكرير الكلام:

من المصطلحات المركبة التي ابتدعها الأخفش وخالف فيها شيخه سيبويه الذي آثر مصطلح (التثنية)³، ودلالة هذا المصطلح هي «أن يُكرّر اللفظ الأول»⁴، و(تكرير الكلام) بهذا المعنى يأتي كمرادف لمصطلح (التوكيد اللفظي) مع النحاة المتأخرين⁵، أشار إليه الأخفش بقوله: «ولكنّ تكرير الكلام كأنه أوجب. ألا ترى أنّك تقول: "رأيت أخويك كليهما"، ولو قلت: "رأيت أخويك"، استغنيت، فتجيء بـ "كليهما" توكيداً وقال بعضهم في قول ابن مسعود: "أنثى" إنه إنما أراد: مؤنثة، يصفها بذلك؛ لأنّ ذلك قد يُستحبّ من النساء»⁶. ومنه فإنّ هذا المصطلح أحادي التسمية والمفهوم فهو لا يدلّ إلا على مفهوم واحد في المعاني، وفي المقابل لم يكن لمفهومه إلا تسمية واحدة وهي (تكرير الكلام)، ولم يكن من المصطلحات المستقرة خلافاً لمصطلح (التوكيد اللفظي) الذي اشتهر مع النحاة المتأخرين.

- التبيان:

¹ - قَالَ تَمَالَى: ﴿مَا مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف: ٩٥].

² - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج2، ص433.

³ - يُنظر: سيبويه، الكتاب، ج2، ص125. وينظر أيضاً: يحيى عطية عابنة، تطور المصطلح النحوي البصري من سيبويه حتى الزمخشري، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، ط1، 2006، ص182.

⁴ - الجرجاني، كتاب التعريفات، مادة (و ك د).

⁵ - يُنظر: ابن يعيش، شرح المفصل، ج3، ص39. وابن مالك، شرح التسهيل، ج3، ص301. والمرادي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ج3، ص978.

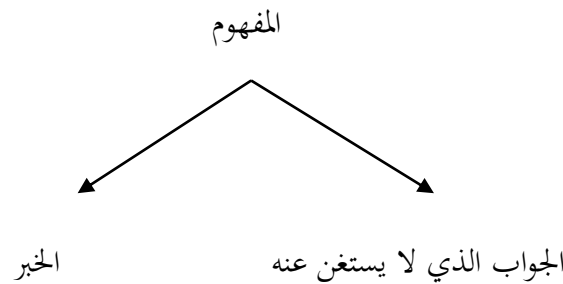
⁶ - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج1، ص175.

مصطلح بسيطٌ يُشير إلى «التابع الذي يحىء لإيضاح نفس سابقة باعتبار الدلالة على معنى فيه، كما في الصفة»¹. وهو بهذا المعنى مرادفٌ لمصطلح (عطف البيان) في عُرف النحويين²، فكان مصطلح (التبيين) بذلك من المصطلحات التي تفرّد بها الأخفش عن غيره من علماء العربيّة القدماء؛ حيث ورد في معانيه بهذا المفهوم مع اختلاف في التسمية وهو ما نلاحظه في قوله: «ثمّ قال: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [١٤٣]³ أي أنشأ حمولَةً وفرشاً ثمانية أزواج، أي: أنشأ ثمانية أزواج؛ على البدل، أو التبيين أو على الحال»⁴. كما جاء في شكل مصطلح أحاديّ الدلالة؛ فهو لا يُعبّر إلّا على مفهوم واحد في مقابل تسمية واحدة هي (التبيين) ولم يكن من المصطلحات المستقرّة الشائعة؛ إذ أنّه لم يُعرف عند غيره من النحاة.

– الجواب الذي لا يُستغن عنه:

من المصطلحات المعقّدة التي تميّز بها الأخفش عن غيره من علماء العربيّة المتقدّمين، وهو في عُرف النحاة «ما أسند إلى المبتدأ وهو عامله في الأصح»⁵. أشار إليه في موضع واحد من الكتاب قائلاً: «وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ﴾ [سورة المائدة: ٩٥]، فهذا لا يكون إلّا رفعاً، لأنّه الجواب الذي لا يُستغن عنه»⁶. كما اصطلح على مفهومه كذلك بمصطلح ثان هو (الخبر)؛ ذكره في عديد المواضع ومن ذلك قوله: «وأما قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [٢]⁷ فرفعه على الابتداء، وذلك أنّ كلّ اسم ابتدأته لم توقع عليه فعلاً من بعده فهو مرفوعٌ. وخبره إن كان هو هو فهو أيضاً مرفوعٌ؛ نحو قوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [سورة الفتح: ٢٩]⁸، هذا المصطلح الذي اشتهر بعد سيبويه؛ حيث عُرف واستقرّ مع الأخفش⁹، ليتداوله فيما بعد غيره من اللغويين المتأخّرين. ويمكن توضيح العلاقة بين مفهوم (الجواب الذي لا يُستغن عنه) وبين التسميتين المعبرتين عنه في معاني الأخفش بالخطاطة الآتية:

- 1 - الجرجاني، التعريفات، مادة (ع ط ف).
- 2 - يُنظر: سيبويه، الكتاب، ج 2، ص 186. والمبرد، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، المقنّص، تح: عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت - لبنان، ج 4، ص 209. وابن السراج، محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، ط 3، 1417هـ - 1996م، ج 2، ص 45. وابن يعيش، شرح المفصل، ج 3، ص 71. وابن مالك، شرح التسهيل، ج 3، ص 325.
- 3 - قَالَ تَعَالَى: ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الظَّأْنِ أُنثَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ أُنثَيْنِ قُلْ لِّلذَّكَرَيْنِ حَرَمٌ أَمَّا الْأُنثَيَانِ أَمَّا أَسْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبَوْنِي يَعْلَمُ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣].
- 4 - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج 1، ص 314-315.
- 5 - الكفوي، الكليات، مادة (خ ب ر).
- 6 - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج 1، ص 68.
- 7 - قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].
- 8 - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج 1، ص 9.
- 9 - يحيى عطية عباينة، تطور المصطلح النحوي البصري من سيبويه حتى الزمخشري، ص 71.



خطاطة رقم (4): تُمثّل التسميتين المقابلتين لمفهوم (الخبر) في معاني القرآن.

وبالنظر إلى هذه الخطاطة يكون مصطلح (الجواب الذي لا يُستغن عنه) مصطلحاً أحاديّ المفهوم ثنائيّ التسمية لم يشتهر في أذهان النحويين خلافاً لمصطلح (الخبر).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ ظاهرة "التّرادف" التي شهدتها كتاب معاني القرآن كما هو الحال مع هذه المصطلحات النحويّة الثلاثة الأخيرة (الاسم الخاصّ، والاسم المستأنف، الجواب الذي لا يُستغن عنه) بالإضافة إلى المصطلح الصّريّ (الجمع الذي ليس له واحد)؛ تُمثّل اليوم واقعاً لغويّاً تشهده أغلب البنوك المصطلحيّة اللّغويّة¹. أمّا عن السّبب وراء هذه الظّاهرة اللّغويّة بالنّسبة لكتاب معاني القرآن فمرّدّه إلى طبيعة المرحلة التي أُلّف فيها؛ حيث كان النّحو في بداياته كما كان لكلّ نحويّ مذهبه الذي يستند إليه، بالإضافة إلى اتّساع ظاهرة "الاختيار" في اللّغة، ونتيجةً لذلك عكف كلّ فريق من هؤلاء على اختيار وجه من عدّة وجوه تُقارب المعنى، يُمكن عدّها صحيحةً عمومًا، وبعد استقرار هذه المصطلحات المنتقاه في أغلبها باستثناء أقربها وألصقها بالظّاهرة المعبر عنها².

4.5. المصطلحات البلاغيّة: جاءت مقتصرةً على مصطلحات الأساليب البلاغيّة؛ ومرّد ذلك حسب رأينا إلى قلة المادّة البلاغيّة في الكتاب، كما ورد معظمها في صيغة مصطلحات بسيطة أو مركّبة مستقرّة أحاديّة الدّلالة، ومنها:

– الاستفهام:

مُصطلحٌ بسيطٌ من المصطلحات الشّائعة في العربيّة يُقصد به «طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل»³، أفرد له سيبويه باباً في كتابه سمّاه "باب الاستفهام"⁴ كما أشار إليه الأخفش في معانيه تسميةً ومفهوماً وذلك في أكثر من موضع، يقول: «وقال الله تعالى: ﴿إِذْ يُثْقُونَ أَفْئَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾» [٤٤]⁵ لأنّ كلّ ما كان من طلب العلم فقد يقع بعده الاستفهام؛ تقول: "أزيدٌ في الدّار؟" وقال: ﴿لَنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ [سورة الكهف: ١٢]، أي لننظر»⁶. كما جاء هذا المصطلح واضحاً في دلّالته على مفهومه

1 - ينظر: خالد الأشهب، المصطلح: البنية والتمثيل، مجلة أبحاث لسانية، جامعة محمد الخامس، المغرب، ع3، إبريل، 1997م، ص17.

2 - يحيى عطية عباينة، تطور المصطلح النحوي البصري من سيبويه حتى الزنجشري، ص303-304.

3 - عبد العزيز فليقلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، ط3، 1412هـ- 1992م، ص160.

4 - يُنظر: سيبويه: الكتاب، ج1، ص98.

5 - قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤].

6 - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج1، ص216.

حيث لم يكن لمفهومه إلا تسمية واحدة هي (الاستفهام) وفي المقابل لم تُعبّر هذه التسمية إلا عن مفهوم واحد في المعاني، ومنه فإن مصطلح (الاستفهام) يتسم بأحادية العلاقة بين التسمية والمفهوم وهو مصطلح استقرّ في أذهان علماء العربية القدماء واشتهر وما يزال يكتسب شيوعاً حتى الوقت الحاضر.

- التحذير:

اشتهر مع سيبويه¹ ويأتي بمعنى «المفعول به بتقدير إتق ونحوه مثل حذر وبعد واجتنب»² والمعنى ذاته أشار إليه الأخفش في معانيه كما اصطاح عليه بالتسمية عينها، يقول: «وقال: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ [١٣]³ أي: ناقة الله فاحذروا أذاها»⁴. كما مثّل له في موضع آخر بقوله: «ومثل قولك: إياك والأسد»⁵. ومنه فإن مصطلح (التحذير) مصطلح مستقرّ وأحادي الدلالة لا يُعبّر إلا عن مفهوم واحد، ولم يكن لمفهومه هذا إلا تسمية واحدة وهي (التحذير).

التعجب:

من المصطلحات البسيطة التي اشتهرت واستقرّت مع سيبويه⁶، وهو «عند أهل العربية من أقسام الخبر... قال الزمخشري: معنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين لأنّ التعجب لا يكون إلا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله»⁷. أشار إليه الأخفش تسمية ومفهوماً ومن ذلك قوله موظفاً إحدى صيغه من لفظه وهي "ما أفعله": «وقال: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [١٧٥]⁸ فزعم بعضهم أنّه تعجب منهم كما قال: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ [سورة عبس: ١٧] تعجباً من كفره. وقال بعضهم: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ﴾، أي "ما أصبرهم؟" و "ما الذي صبرهم"»⁹. وجاء في شكل مصطلح بسيط أحادي الدلالة؛ فهو لا يعبر إلا عن مفهوم واحد في كتاب معاني القرآن وفي المقابل لا نجد لهذا المفهوم إلا تسمية واحدة هي (التعجب).

التقديم والتأخير:

اشتهر هذا المصطلح في أذهان النحويين واستقرّ منذ زمن مبكر؛ فهو يمثّل كما ذكر ذلك ابن السراج (ت ٣١٦هـ) في "أصوله": «أحد أساليب البلاغة ومباحثها ينم عن براعة العرب في الفصاحة وانسياق أوجه الكلام لهم»¹⁰، يُحيل إلى «تبادل في المواقع تترك الكلمة مكانها في المقدمة ليحل محلها كلمة أخرى، لتؤدي غرضاً بلاغياً ما كانت لتؤدي لو أنها بقيت في مكانها الذي

1 - يُنظر: سيبويه: الكتاب، ج 1، ص 253. وينظر أيضاً: يحيى عطية عباينة، تطور المصطلح النحوي البصري من سيبويه حتى الزمخشري، ص 132.

2 - التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، مادة (ح ذ ر).

3 - قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: ١٣].

4 - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج 2، ص 580.

5- المصدر نفسه، ج 1 ص 152.

6- يُنظر: سيبويه: الكتاب، ج 3، ص 497. وينظر أيضاً: يحيى عطية عباينة، تطور المصطلح النحوي البصري من سيبويه حتى الزمخشري، ص 220.

7 - التهانوي، موسوعة كشاف اصطلاحات العلوم والفنون، مادة (ع ج ب).

8- قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥].

9- الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج 1، ص 166.

10 - ابن السراج، الأصول في النحو، ج 2، ص 222-223.

حكمت به قاعدة الانضباط اللغوي¹. أشار إليه الأخفش في معانيه تسميةً ومفهوماً وهو ما يبدو جلياً من خلال قوله: «ومثل هذا/ في كلام العرب وفي الشعر كثير في التقديم والتأخير. يكتب الرجل: أمّا بعد- حفظك الله وعافاك- فإني كتبت إليك؛ فقوله "فإني" محمولٌ على: "أمّا بعد"؛ إنّما هو: أمّا بعد: فإني؛ وبينهما كما ترى كلامٌ»²، ومنه فقد جاء هذا المصطلح واضحاً في دلالة على مفهومه؛ إذ إنّ لا يدلّ إلا على مفهوم واحد كما لا نجد له في المعاني إلا تسميةً واحدةً وهي (التقديم والتأخير) وهو من المصطلحات المستقرة التي امتد استخدامها إلى الدرس اللغوي المعاصر.

الدعاء:

مصطلحٌ بسيطٌ يُحيل إلى «تصويتك بمن تريد إقباله عليك لتخاطبه»³ وهو بهذه الدلالة مُرادفٌ لمصطلح (الدعاء) عند سيبويه⁴ وغيره من اللغويين العرب القدماء⁵، عُرف مع الأخفش؛ حيث أشار إليه في مواضع عدّة من كتابه ومن ذلك ما جاء في (باب الدعاء): «وهو قوله: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾ [٣٥]⁶ و: ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ﴾ [سورة البقرة: ٣٣]، و: ﴿يَا فِرْعَوْنَ إِنِّي رَسُولٌ﴾ [سورة الأعراف: ١٠٤]؛ فكلّ هذا إنّما ارتفع؛ لأنّه اسمٌ مفردٌ، والاسم المفرد مضمومٌ في الدعاء؛ وهو في موضع نصب، ولكنّه جعل كالأسماء التي ليست بمتكّنة⁷. جاء هذا المصطلح أحاديّ الدلالة؛ فهو لا يعبر إلا عن مفهوم واحد وفي المقابل لا نجد لهذا المفهوم عند الأخفش إلا تسميةً واحدةً هي (الدعاء).

6. خاتمة:

بناءً على ما سبق ومن خلال رصدنا ودراستنا لبعض المصطلحات اللسانية الواردة في كتاب معاني القرآن للأخفش الأوسط توصّلنا إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يأتي:

- تتنوع المصطلحات اللسانية في معاني القرآن بين المصطلحات البسيطة والمركبة والمعقدة.
- جاءت أغلب المصطلحات اللسانية أحاديّة الدلالة؛ فكلّ مفهوم تسميةً واحدةً تُعبّر عنه وفي مقابل ذلك كلّ تسمية لا يُمثّلها إلا مفهومٌ واحدٌ.
- لم يتعد الأخفش في مصطلحاته الصوتية والبلاغية، خاصّةً، عن الكتاب لسيبويه إلا فيما ندر؛ حيث جاء أغلبها في صيغة مصطلحات بسيطة أو مركبة متّسمة بالاستقرار.

¹ - عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط1، 1430هـ - 2009م، ص149.

² - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج1، ص328-329.

³ - الكفوي: الكليات، مادة (ن ا د ي).

⁴ - يُنظر: سيبويه، الكتاب، ج2، ص182.

⁵ - يُنظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي التّجار، المكتبة العلمية، مصر، ط2، 1371هـ - 1952م، ج1، ص186. وابن يعيش، شرح المفصل، ج8، ص118. وابن مالك، شرح التسهيل، ج3، ص385. وابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج4، ص3. والمرادي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، ج3، ص1051.

⁶ - قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا آدَمَ اسْمَهُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

⁷ - الأخفش، كتاب معاني القرآن، ج1، ص65.

- ينفرد الأخفش في كثير من الأحيان بمصطلحاته الخاصة التي لم تُعرف عند غيره من اللغويين المتقدمين خاصة بالنسبة للمصطلحات الصرفية والنحوية.
- بروز ظاهرة التعدد المصطلحي (الترادف)؛ حيث يشيع في معاني القرآن مقابلة المفهوم الواحد بتسميتين اثنتين أو بعدة تسميات مترادفة وهذا ما يُمكن ملاحظته خاصة بالنسبة للمصطلحات الصرفية والنحوية.
- بروز ظاهرة التداخل المصطلحي؛ إذ إنّ الأخفش قد عبّر بالتسمية الواحدة الخاصة بمفهوم معيّن عن مفاهيم أخرى مختلفة عنه.

7. قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- 1. الأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، كتاب معاني القرآن، تح: هدى محمود قراة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411هـ-1990م.
- 2. الاسترأباضي، رضي الدين محمد بن الحسن، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1402هـ-1982م.
- 3. التهانوي، محمد علي بن علي بن محمد، موسوعة كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط1، 1996م.
- 4. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الرباط- المغرب، ط2، 1394هـ-1974م.
- 5. الجرجاني: علي بن محمد الشريف، كتاب التعريفات، تح: إبراهيم الأبياري، مكتبة لبنان، بيروت- لبنان، ط1985م.
- 6. ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، مصر، ط2، 1371هـ-1952م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هندراوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985م.
- 7. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسين الأزدي، جمهرة اللغة، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 8. رياض عثمان، تشكل المصطلح النحوي بين اللغة والخطاب دراسة صناعة المداخل الاصطلاحية في تفكير الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2011.
- 9. ابن السراج، محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط3، 1417هـ-1996م.
- 10. سيوييه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1402هـ-1982م.
- 11. السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة- مصر، ط1، 1984هـ-1964م، ج1، ص590-591.
- 12. ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله، رسالة أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسن الطيبان ويحيى مير علم، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق- سوريا، ط1، 1983م.
- 13. عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط1، 1430هـ-2009م.
- 14. عبد العزيز قليقطة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة- مصر، ط3، 1412هـ-1992م.
- 15. عبد القادر مرعي بني بكر، المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في ضوء علم اللغة المعاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، ط1، 2016م.

16. أبو عمرو الداني، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، التّحديد في الغتقان والتّجديد، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 1421هـ-2000م.
17. العوتبي الصحاري: سلمة بن مسلم، كتاب الإبانة في اللغة العربية، تح: عبد الكريم خليفة وآخرون، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط1، 1420هـ-1999م.
18. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد-العراق، 1980م.
19. الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط2، 1419هـ-1998م.
20. ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله الطائي الجبالي الأندلسي، شرح التسهيل، تح: عبد الرحمن السيّد ومحمد بدوي المختون، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، مصر، ط1، 1410هـ-1990م.
21. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، المقتضب، تح: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت-لبنان.
22. المرادي، أبو محمد الحسن بن قاسم بن عبد الله بن علي، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، تح: علي عبد الرحمن سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة-مصر، ط1، 1422هـ-2001م.
23. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تح: لجنة التحقيق بدار صادر، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
24. ابن هشام، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، بيروت-لبنان.
25. يحيى عطية عبابنة، تطور المصطلح النحوي البصري من سيبويه حتى الزمخشري، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط1، 2006.
26. ابن يعيش، موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي، شرح المفصل، تح: مشيخة الأزهر، إدارة الطبعة المنيرية، مصر.

الرسائل والدوريات:

1. أحمد الهادي رشراش، إشكالية المصطلح اللساني في اللغة العربية، مجلة كلية اللغات، جامعة طرابلس، ليبيا، ع17، مارس 2018م.
2. آلاء يوسف عبد الرحمن القرقر، المصطلح الصرّي في كتاب سيبويه دراسة تحليلية في البنية والمفهوم، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والنحو، إشراف: أمجد عسى طلافحة، قسم اللغة العربية وآدابها-جامعة اليرموك، الأردن، 2010م.
3. خالد الأشهب، المصطلح: البنية والتمثيل، مجلة أبحاث لسانية، جامعة محمد الخامس، المغرب، ع3، إبريل، 1997م.
4. غادة غازي عبد المجيد وسلام علي المهداوي، المصطلح الصرّي في كتاب (معاني القرآن) للأخفش الأوسط (ت215هـ)، مجلة الفتح، جامعة ديالى، العراق، ع30، 2007.